

توايخ المدرسة المارونية الاولى : ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلائي (١٥٩٤؟ - ١٦٦٤)

بقلم الحوري بيلارس غالب

١  
مفط رأسه - عائلته

قرية من قرى بلاد جبيل ، وقعها في وادٍ يحيط بها من  
جهاتها الثلاث ؛ اما من الشرق فهي مستندة الى جبل عال  
تنبت فيه الاشجار الباسقة اعمدة خضراء تشبه اعمدة حنينة  
معد تقوم حاقل في وسطها كأنها الهيكل .

تعلو هذه القرية سطح البحر نحواً من ٧٥٠ متراً . واقرب القرى اليها  
بجة وبينها سير ساعة الى الشمال الغربي ، ثم مي فوق حيث الدير التاريخي الذي  
سكنه ردهاً من الزمان بعض بطاركة الطائفة المارونية ، وهو على سير ساعة  
ونصف الساعة منها الى الشمال الشرقي . اما لحد ، موطن الاسقف المورخ  
واللاهوتي الشهير جبرائيل ابن التلاعي ، فلا يبلغها القاصد اليها من حاقل الا  
بعد سير ساعة وثلاثة ارباع الساعة الى الشرق . وعلى مسافة ساعة ونصف  
الساعة قرية عبادات الواقعة في غربي حاقل .

تربة حاقل جيدة غير ان المساحة الصالحة للزراعة ضيقة . معظم حاصلاتها من  
الحبوب ، والزيتون ، والحنطة ، والحضروات المتوفرة فيها بسبب المياه الغزيرة  
التي تجري من ينبوعها .

مناخ حاقل جيد ايضاً ، وهو اؤها بليل قل ان يفش فيها مرض وبائي ،  
ولذا يعتر اهلها طويلاً . وعدد نسائها اليوم لا يقل عن الخمائة ؛ والمقصود  
السكان المقيمون في بلدتهم ، اما المهاجرون فمددم وانفر .

الى هذه القرية تنسب عائلة غلامتنا الحاقلي - ويدعوه بعضهم الحاقلائي -

الشهير ، المتأزبين انسابه الذين خلفوا ذكراً طيباً في تدرج لبنان والطائفة  
المارونية

وقد جاء في اوراق قديمة ان عائلة الحاقلافيين او الحواقلة فرع من عائلة  
بيت ابي حبيب التي اختلف الباحثون في اصلها ، فمنهم من قال انها من الطاقورة  
ومنهم من زعم انها اتت من غلبون . وعلى كل حال فان فرعاً من هذه العائلة  
توطن بيت شباب حيث احتفظ باسم الاصل الجامع ابي حبيب ، وقطن فرع  
آخر زوق مصبح في ايام الامير منصور الصاف ، فنال افرادهم شهرة واسعة في  
العلم والتفوذ لدى حكام لبنان ، فعملهم مشايخ لحن خدمتهم .

وقد كثرت عددهم في الزوق فاصبح فوارسهم اربعمين من الرماحة . ووقف  
بعضهم اوقافاً على الرهبان البباد اولاً ، ثم سلموها الى الرهبانية اللبنانية  
المارونية ، بعد ان انتظمت امورها ونالت تثبيت الطيب الذكر والاثر ، البطريك  
اسطفانوس الدريسي الذائع الصيت . منها وقفهم دير سيدة اللوزة المنشأ سنة  
١٦٨٢ الذي ما عتسوا ان سلموه الى الرهبانية البلدية في سنة ١٧٠٧ ، ووقفهم  
دير مار يوسف البرج الذي سلمه الشدياق شاهين الحاقلافي الى الرهبانية نفسها  
في سنة ١٧٤٦ ، ووقف غيرها ممتلكاتهم باسمها للرهبانية المذكورة واعتنوا  
بعمار كنيسة الوردية في زوق مصبح .

ترجى قسم منهم الى ارضه قرب طرابلس وهم الشيخ لوس ابن غالب  
واخوه ، وعرفوا فيها بيت الحاقلافي . وتوفي الشيخ نوفل الحاقلافي سنة  
١٨١٦ عن ولد جاءت به امه الى غزير ، فتزوج فيها ومات بدون عقب .  
فانقرضت به العائلة الحاقلية في كسروان

وقد حفظ التاريخ اسماء بعض المروفين من هذه العائلة الكريمة وهم :  
القس يعقوب ابن حويس الحاقلافي ، اسمه المطران داود ، وكيل دير قنوين ، استغنى  
سنة ١٥٧٧ ، دون ان يسبق فيلم البطريك مخايل الرزي ، وكان المطران داود يقصد انتفض  
على رئيسه . فكتب المطران يعقوب المذكور سيرة القديس ثلثا سنة ١٥٦٣ في وادي  
حدثت .

يوسف الحاقلي ، نسخ كتاب « ايفاح الامانة » في قرية بان التابعة جبة بشري  
القس يعقوب ابن سالم الحاقلافي ، كتب في قبرس مصحفاً يحتوي ٣١ ناقورة اقتداس الموارنة

سنة ١٥٣٥ .

الشمس يوسف التريب الحاقلائي ، نسخ المقاتل العشر لثوما الكفرطاي سنة ١٤٠٣  
الشمس عيسى واخوه ، ولدا الموردي يوسف الحاقلي ، نسخا هذه المقاتل نفسها في ايام

الدويحي

الموردي جرجس بن عيادته الحاقلائي ، تلميذ المدرسة الرومانية ، سنة ١٦٣٦ ومعلم  
اللاهوت الاديبي فيها ، درس عليه هذا العلم عبد الغال اخيجيان الذي صار فيما بعد بطريركاً  
على السريان الكاثوليك . ثم عاد الى بلاده فرسه البطريرك يوسف الماقوري قسماً وارسله  
الى رومية لفضاء مصالح الطائفة ، وبدرجوه ملحت اليه خدمة موارنة القدس فبحرى له  
خصومات مع الفرنسيكان ، وقضى اجله سنة ١٦٦٩ . وقد ذكره القس الياس عويضة في  
زجلته عن تلاميذ المدرسة المارونية

الشديان سليمان الحاقلائي تلميذ مدرسة رومية ، لم تعرف عنه شيئاً  
الشيخ شاهين الحاقلائي الذي عاش بتولاً ، وسلم دير مار يوسف البرج الى الرهبانية  
اللبانية في سنة ١٧٤٦

الموردي رزق الله الحاقلائي ، خادم زرق مصبح في عهد البطريرك يوسف ضرغام المازن ،  
ترى توقيمه على اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦  
الشيخ سلب الحاقلائي ، انشأ دير سيدة اللوزة سنة ١٦٨٢ ، وخصمه اولاً بالرهبان  
الباد ، وترهب فيه ودعي باسم اغناطيوس ، ثم نكس سنة ١٧٠٧ الى الرهبان اللبنانيين وانضم  
اليهم . مات سنة ١٧١٤ وله من المسر ثمانون سنة

جرجس حبيب الحاقلائي ، مسجل بطريركي ورد ذكره في اعمال المجمع اللبناني  
الموردي ابراهيم الحاقلائي ، ورد ذكره سنة ١٨٣٥

المجيس الاخ مارون الحاقلائي ، توفي سنة ١٧٥٦ في محبة قزحيا برائمة القداة  
الاب يواكيم الحاقلائي ، الذي اتخب رئيساً عاماً على الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٤٤  
واخيراً المطران رافائيل الحاقلائي ، مطران دمشق ، ولد سنة ١٧١٦ في زوق مصبح  
ولبس الاسكفم الرهباني في دير مار الياس شوبا في ١٤ قوز سنة ١٧٤٠ ، رددى الى اسقفية  
دمشق سنة ١٧٥٥ ، وعهد اليه امر تدبير راهبات بكتنا اللبنانيات بعد وفاة المطران  
يواحاف الديبي البكتاوي سنة ١٧٦٩ . واتمتم الى رحته تعالى سنة ١٧٨٠

واشهر الجميع ابراهيم الحاقلي الذائع الصيت ، الذي ولد في قرية حاقل  
واليها انتسب . والمرجح انه ابصر النور في اواخر القرن السادس عشر . على  
انني رغم البحث الجددي المتواصل ، لم اتسكن من معرفة سنة ميلاده بالحصص  
بل استتجت من قول البطريرك العلامة الدويهي الذي روى ان الحاقلي مات  
سنة ١٦٦٤ طاعناً في السن ، ان علامتنا فات السبعين سنة وألاً لما صحت عنه

عبارة الدويهي

### دروسه ومؤلفاته الاولى

وما طال امر الشاب ابراهيم حتى بانت عليه ملامح الذكاء والاجتهاد ، فارسله رؤسائه الى المدرسة المارونية في رومية المنشأة حديثاً ، التي ما كان يُرسل اليها الا من تُوسم فيهم الخير والفائدة للطائفة . وأرجح انه سافر الى المدينة الابدية سنة ١٦٠٩ مع القس جرجس مارون الذي سمع اسقفاً على قبرس سنة ١٦١٤ ، ويوسف الكرمدياني ، والقس الياس الدويهي ، الذي سمع اسقفاً على حلب سنة ١٦٣٨ . فانصب على العلم وعكف على التقوى وامتاز بمقله الثاقب ؛ ونال لقب استاذ في الفلسفة واللاهوت . فلحظ رؤسائه صفاته هذه ، فخطوه بطرق شتى ليزين نفسه بالفضيلة والجد . ولشدة تقمهم به شهدوا فيه الشهادات الحسنة ، وخصوصاً رئيس المدرسة الاب فابوس برونو ، رفيق الاب ايرونيسوس دنديني في تصادته الى الموارنة . وقد عهد اليه فحص الشحيم قبل طبعه في رومية سنة ١٦٢٢ ، تحت مناظرة الطرباوي الكردينال بلرمينوس اليسوعي . وألح عليه السيد فرنسيس إنغولي ، امين سر مجمع نسر الايمان مع رئيس المدرسة المشار ذكره ، بان يضع مختصراً للقراماطيق السرياني سهل المنال موجز العبارة ، ففعل . والتصد من ذلك كان منفعة الدارسين لان التأليف الذي كان قد صنفه البطريك العلامة جرجس عميرة انحصرت فائدته بالمسكوقين ، لانه وضع باللاتينية مطرولاً مُبرهناتاً . والكتاب مقدم للكردينال أكتافوس بانديني ، محامي الطائفة المارونية ، إقراراً بمجمله عليها وعلى المدرسة . وقد ذكر المؤلف في تمهيدته انه استنجد بقراماطيق البطريك عميره ، على انه لانهاكته بدرس الفلسفة اضطر الى الايجاز اكثر مما يلزم وكان اذ ذاك شامساً ، وسقري انه لم يتطد هذه الدرجة لاسباب نجهلها

ولما انجز تأليفه سلمه الى الرؤساء . يأذنوا بطبعه ، فكان من جملة المراقبين المطران سركيس الرزي ، مطران دمشق ، رئيس لجنة تصحيح ترجمة الكتاب المقدس في رومية ؛ فاجازه الفاحصون وقرظه المطران الرزي قال : «وجدت ان هذا الكتاب» كثير المنفعة لاولاد طائفتنا وغيرهم الطالبين الدخول في علم

الغراماطيق واللغة السريانية . ولذلك زُعب من بائر طانتنا وشعبنا الموارنة المباركين وسائر اخوتنا المسيحيين الذين عندهم يصل هذا الكتاب انهم يقبلونه في حرصه ويجهدون على انتفاع بنبيهم واولادهم الغراز من هذا الكتاب الذي صار لاجل منفعتهم وارشادهم في طريق العلم وافتتاح كتب البيعة المقدسة . . . وتم ذلك في تاريخ سنة ١٦٢٧ . واما ابراهيم الحاقلي فانه اودع مقدمته بعض ايات سريانية فيها نصائح مفيدة لدارسي هذه اللغة .

ويبين لك قدر الحاقلي في ذلك الوقت ما قاله فيه المطران يوحنا الحصريوني الدومنيكاني في شعر نظمه مدحاً لعلامتنا وهماك ترجمته من السريانية :

« اشكر الله الذي عزانا نحن الموارنة وقواتنا باتعاليم المسيحية ، واللغات المختلفة والغراماطيق ، والمنطق ، والرياضيات والفلسفة ، واللاهوت ، التي زينتك بها يا ابني ابراهيم الحاقلي . فليرفع الله شأنك في آمتنا وطائفتنا المارونيتين كما رفع شأن ابن القلاعي ابن طائفتك ، فتصير ينبوع ماء الحياة ، بواسطة عملك ، للعقول وللنفوس المفتداة بدم ابن الله سيدنا يسوع المسيح في هذا العالم .»

ثم جدد بالطبع ، في السنة ذاتها ، وفي مطبعة نثر الايمان المقدس ، التعليم المسيحي الذي كان قد ألفه الطوباري بلمريوس وترجمه المطران يوحنا الحصريوني مطران طرابلس . وما لبث ان نثر ايضاً في المطبعة ذاتها خلاصة مبادئ اللغة السريانية موضوعة في اللاتينية (١٦٢٨)

### الامير فخر الدين المعني ونهوميذ المدرسة المارونية الرومانية

وبينا كان ابراهيم الحاقلائي يهتم بتأليف الكتب وترجمتها ، كان الحيز الاعظم يسعى لتسيح الخطط التي كان اسلافه قد استحسوها وهي ان يجملوا الامير فخر الدين حليفاً للدول الصراية الاوربية ، ولاسيا اسبانية وايطالية ، ليجهتوه الى الدين المسيحي ويؤيدوه في حكمه وامارته على لبنان ، ويستعينوا به على تخليص الاراضي المقدسة ، وتأمين زوارها من الظلم والحبس والبص . واصل هذه المساعي يوتقي الى عهد كان الامير فخر الدين في فلورنسة ، منزهماً من امام السلطنة العثمانية ، قضى فيها وفي جوارها خمس سنوات مجتهداً

في اكتساب صداقة الحبر الاعظم ، ذي السلطة الادبية العالسة في الدول المسيحية ، وغراندوق توسكانا صاحب الفن الحربية التجارية.المديدة: ثم ان عائلة بريريني الفلورنسية الاصل كانت تطمح في تأسيس امارة في فلسطين يولى عليها احد افرادها . وغراندوق توسكانا يعني ان يحالف اميراً بلاده غنية بالحبوب والحرير لا يكاد يكون لمركزها التجاري مثل .

اما تلاميذ المدرسة المارونية ، والحازنيون متشارو الامير ، فكانوا ينظرون بعين الارتياح الى تحسن العلاقات بين الامير والباباوية والمالك المسيحية ، ويتسنون توطيدها معللين النفس باعتناق الامير الدين المسيحي ، وتأسيس حكومة لبنانية وطنية مستقلة يتخلصون بفضلها من مظالم الاتراك .

وقد كتب البابا بولس الخامس الى البطريرك يوحنا متخولوف (١٦١٠) يوصيه بان يعني بكعب صداقة فخر الدين ، حتى يكون اوفر اماناً في حمايته ، عساه يتردد الى النصرانية قال : « بما اننا سمعنا ان الامير فخر الدين امير الدروز في فلسطين ، رجل متفوق بجيوشه وبأسه ، وانه عدو لدود للاتراك وانه يظهر ميلاً الى النصارى ويشملهم بطفه المتاز ، ويعتر انه سليل الامراء قادة الحملة الصليبية على اورشليم فانا فرحنا بذلك كثيراً . ولذا نرجب ان تحافظوا على صداقته حتى تكونوا اوفر اماناً في حمايته لكم لعل كره الاتراك له وصداقتكم له يجملاه على الكفر بذهب والاهتداء الى الايمان »

ويجيب الي ان كتابة المطران يوحنا بن قرياقوس الحصري الى الامير فخر الدين تدل على هذه الآمال التي كان الامير يجيئها بما كان يبدو منه من حسن الاستعداد نحو النصارى الذين نجوه من ايدي اعدائه واليك نص هذه الكتابة : « سلام الله الهي القدوس عبي الاجساد والنفوس وسيدها الى قرائنها باحسن الطموس نخض به حضرة سيدنا واميرنا وفرح قلوبنا ومرور طائفنا المارونية الجليل القدر الامير فخر الدين المكرم والذي يرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران حنا الحصري كاتب هذه البودية فهو ان قرب جايبكم بمكاتيب كاتخيتكم مصطفي بن حسن شلي مع اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعداكم والماقبة للخير بمونة يتبوع المونة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعته والدته المقدسة مريم الدائمة بتوليها التي لا صار قلبها ولا بعدها اية تناسيا باعمال الله الواحد . هذا الذي نساله متضرعين الى مراحمه الجزية يملكم باصل ويصبركم ( اميراً مسيحياً ) بطاعة البابا مؤثداً بالقر والصر

الاله بالذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة للتعز من السماء بواسطة الكلبة الازلية سيدنا يسوع المسيح خلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور. . . . . اه

وكان الامير فخرالدين يؤمل غراندوق توسكانا بما يطمع اليه ، ويشجب الى تلاميذ المدرسة المارونية الذين خدموه اصدق خدمة . ولذلك طلب ، يوم كان في ايطالية ، من الحبر الاكظم ان يرسل بعضاً من هؤلاء التلاميذ الموجودين في رومية مع بعض اخصائه ليشددوا عزم مرپديه في لبنان ويقفروا عن كتب على احواله . واستعان الامير بالفراندوق ليكتب للابا طالباً منه ان يوصي المرارنة بان يتقادوا لفخر الدين ويؤيدوه ، ففعل الفراندوق بطيبة خاطر .

وقد توفق فخرالدين باقناع الفراندوق بلامه مقاصده ، واستمال البلاط الروماني . وراق الفكر لفرنثيسكو بربريني ، كردينال الكنيسة الرومانية المنتشر المعروف الطامح بابصاره الى الاراضي المقدسة الساعي جد السعي للتوفيق بين الدول النصرانية في اوربة وتوحيد كلمة الامراء الايطاليين واستأثمهم الى الاتقياد للحبر الاكظم ، ليجطوه الحكم الاعلى فيما بينهم .

اما المطران جرجس مارون الاهديني مطران قبرس ، فقد نجح في وضع مشروع معاهدة بين غراندوق توسكانا والامير فخر الدين ، غايتها امتلاك سورية ، وتوطيد ولاية فخر الدين على البلاد اللبنانية باسرها ، واعطاء قبرس للفراندوق وتسلم امارة القدس المنوي انشاؤها الى احد افراد عائلة بربريني . وكان لمشروع المعاهدة نسخة بين الوثائق التي كان قد جمعها شهيد الوطن الشيخ فيليب الحازن رأيناها عنده ولم تتوفق حتى اليوم الى ايجادها .

وقبل ذلك بمدة ، كان قد أرسل المطران جرجس المذكور ، والمعلم منصور شلق العاقوري مؤسس مدرسة راوتنا يصحبها المهندس المسكوي نيكولتي من ترني ، لتفقد احوال لبنان ودرس موارده بالرجال والثروات ، والتحقق مما كان يرويه فخر الدين الطالب ارسال حملة قوية تنجده للتغلب نهائياً على الدولة العثمانية . ولم يفوض اليهم الا بحث شؤون البلاد ومقدرتها المعنوية والمادية ، وما يرجى الحصول عليه فيها ، وما هي الثروات التي يمكن الاعتماد عليها . وقد أوصوا بان يقنعوا فخر الدين بارسال ممتد الى رومية للمفاوضة .

امنا احوال ايطالية فكانت قلقة لاختلاف امرائها ، وخصوصاً طاقلي  
 التراندوق ورويني . وقد أوعز الى الموفدين ان يحافظوا على حسن العلاقات  
 مع الامير ، ويسموا لتأمين التجارة بين البلدين . واما مشروع المعاهدة فلم  
 تم الموافقة عليه ، لان غراندوق توسكانا لم يرض بان يناصر عائلة بيزيني ، كما انه  
 استصعب الحملة على سورية البعيدة عن امارته . اما فخر الدين فكان يلح  
 بذلك ليضتم فرصة انهك الدولة العثمانية بحربها مع العجم ، على انه لم يتوفق .  
 ولما رأى الكردينال بيزيني انه لن ينجح باقناع فردينان الثاني ، اخذ  
 يسي وحده لجل علاقات تجارية مع الامير فخر الدين . فحمل البابا على ان  
 يوجه الى الامير (١٦٢٨) كتاباً يثني فيه عليه ويسأله ان يشمل النصارى بعطفه  
 كسابق عادته .

ولم تكن الدولة الفرنسية لتنظر بعين الرضى الى جميع هذه المخابرات  
 والمسامي الزامية الى تقليل نفوذها في الشرق ، بل اخذ وزراء الخارجية فيها  
 يماكون تلك السياسة ليحتفظوا بسيطرة حكومتهم ، فعززوا الارشاليات  
 الفرنسية ما امكن ، وعدوا هم ايضاً الى تلاميذ المدرسة المارونية لترويج  
 افكارهم ، فدعوا البارعين فيهم الى تدريس اللغات الشرقية في جامعة فرنسة  
 (Collège de France) واجروا عليهم المتربات ، وكلفوهم ترجمة الكتب الى  
 غير ذلك .

ومن المعلوم ان الدولة العثمانية كانت منت تجارة الجيوب بين سورية  
 والبلاد النصرانية ، وكان الايطاليون يرغبون خاصة في استيراد القمح الحوراني  
 الصالح لاصطناع المعجون الايطالي المعروف بالمعكروني ، فانفقوا مع الامير فخر  
 الدين على استيراد الجيوب من سورية . ولم يكن الامير ليحفل بمنع الدولة بل  
 كان يرسل من الجيوب ما يتيسر له يبعه في ايطالية . وهكذا كانت المصلحة  
 المشتركة العامل الاكبر على التجارة ، وقد أرسل البارون ده لاغرا ، نديم كنفية  
 الدوقية ، لاجل هذه الناية وُسمي الفارس ده فراتانو فتصلاً ليسهر على المصالح  
 التجارية ، وكان عالماً باللغة العربية وله المام بمعادات البلاد .

( للقال صلة )